

القياس ففي باب الأسماء والصفات

الخالق العليم القابض
العظيم الملك الفتاح
المصور القهار
الرحيم القهار
الغفار القهار
الرحمن الحكيم
البارئ
الغفور البصير
المتكبر
الوهاب الشكور

كتبه

أبو عبيدة

شعبان العودة

غفر الله له ولوالديه

موقع أصحاب الحديث
www.ashabelhadeth.com

القياس

في باب الأسماء والصفات

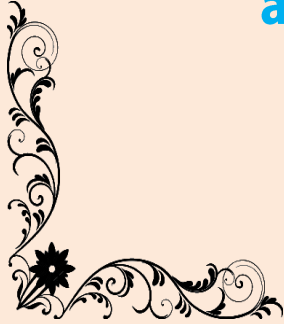


حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الناشر

موقع أصحاب الحديث

ashabelhadeth.com



القياس

في باب الأسماء والصفات

كُتبه

أبو عبيدة

شعبان العودة

موقع أصحاب الحديث



القياس في باب

الأسماء والصفات

الحمد لله الذي عَظَّمَ شأنَ توحيدِهِ، ومنه أسمائُهُ وصفاتُهُ، وجعلهُما سببًا للنجاة والفوز الأكبر، أحمده وهو المستحق لأن يُحمد ويُشكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أَدخَرها ليوم الفزع الأكبر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صفوة البشر، أفضل رسول أثنى على ربه بأسمائه وصفاته، اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر الذين كان لهم في الجهاد، وقمع المخالفين أحسن الأثر، وعلى من تبعهم بإحسان ممن مضى ومن غبر، وسلم تسليمًا كثيرًا.

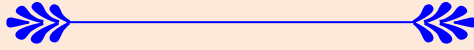
أما بعد: فهذه نبذة وجيزة في القياس الثابت والفاقد في باب الأسماء والصفات، جمعتها لما رأيت ثقل المبحث على بعض طلبة العلم؛ راجيًا أن ألخص ما جاء في هذا الباب بطريقة يسيرة لا تشق على عامة الطلبة إن شاء الله تعالى، فأقول:

الله لا يُقاس بخلقه، فلا يجوز استعمال شيء من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقيس والمقيس عليه في الشئون الإلهية، كقياس التمثيل الذي يُعرِّفه علماء الأصول بأنه: "إلحاق فرع بأصل في حكم الجامع"، كإلحاق

النَّبِيذ بالخمر في الحرمة؛ لاشتراكهما في علة الحكم، وهي الإسكار، فقياس التمثيل مبني على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله عَلِيمٌ لا يجوز أن يُمثَّل بشيء من خلقه، ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بأنه: الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي، وهذا القياس مبني على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلي، ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه، ومعلوم أنه لا مساواة بين الله عَلِيمٌ وبين شيء من خلقه، وإنما يستعمل في حقه تعالى قياس الأولى، ومضمونه: أن كل كمال ثبت للمخلوق، وأمکن أن يتصف به الخالق؛ فالخالق أولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق؛ فالخالق أحق بالتنزه عنه.



توحيد الأسماء والصفات



توحيد الأسماء والصفات:

هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبت له رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأسماء والصفات، والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها. ويقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه، وهو قسمان:

- تحريف لفظي: وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص، أو تغيير حركة في

الكلمة، كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] إلى: استولى.

- تحريف معنوي: وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه، كمن فسر "اليد" لله تعالى بالقوة أو النعمة، فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالى، كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة.

والفرق بين التحريف والتعطيل: هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح

الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح، أما التعطيل: فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها، كفعل الذين يكيفون صفات الله، فيقولون: كيفية يده كذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا، فإن هذا باطل؛ إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا الله سبحانه.
والتمثيل: هو التشبيه، كمن يقول: لله سمع كسمعنا، ووجه كوجهنا. تعالى الله عن ذلك.

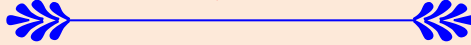
ومن قواعد أصول أهل السنة في هذا الباب:

- تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.
- والإيمان بما سمي ووصف الله به نفسه، وبما سماه ووصفه به رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.
- وقطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى؛ لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.



القياس في باب

الأسماء والصفات



قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: «وأعظم المطالب: العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأمره، ونهيه، وهذا كله لا تنال خصائصه لا بقياس الشمول، ولا بقياس التمثيل، فإن الله تعالى لا مثل له فيُقاس به، ولا يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها، فلهذا كانت طريقة القرآن - وهي طريقة السلف والأئمة - أنهم لا يستعملون في الإلهيات قياس تمثيل وقياس شمول تستوي أفراده، بل يستعملون من هذا وهذا قياس الأولى؛ فإن الله له المثل الأعلى»^(١).

وعلى هذا، فالقياس إما أن يكون:

١ - قياس تمثيل.

٢ - أو قياس شمول.

وكلاهما يستعمل على وجهين:

١ - قياس مساواة.

٢ - قياس أولى.

فالقياس لغة: مصدر لِقاس، بمعنى: قدر الشرع بالشرع، يقال: قاس الثوب الذراع إذا قدره به.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٢٣)

قياس التمثيل:

«وهو حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما»^(١).

فساده:

فإذا جعلنا صفة الإنسان أصلاً، وجعلنا صفة الباري سبحانه فرعاً، وقسنا الأول- لأنه معروف مُشاهد لدينا- على الثاني، فحكمنا بينهما بالتماثل، فهذا هو قياس التمثيل.

والداعي إلى هذا:

الاشتراك في اللفظ أو القدر المشترك.

الاشتراك في اللفظ:

كثير من أهل الضلال توهموا أن الاتفاق في المسمى يوجب التماثل، كلفظ الوجود، فظنوا أن وجود الرب سبحانه وتعالى كوجود المخلوق، ولم يسلكوا سبيل أهل السنة، القائلين: إن هذه الأسماء إذا سُمي الله ﷻ بها أو وُصف بها اختصت به تعالى على ما يليق بجلاله، وإذا سُمي بها العبد كان مسماهَا مختصاً به كما يليق به، فوجود المخلوقات فيما بينها مختلف، فليس وجود الإنسان كوجود الحيوان، كوجود الجمادات من الكائنات التي توصف بالعبادة، كالشجرة ونحوه.

فسبب الضلال هو:

أن المماثلة والمشبّهة أخذوا المعنى العام للفظ، وألغوا الفارق بين الأصل والفرع؛ فضلوا.

القدر المشترك:

سمى الله تعالى نفسه بأسماء، وكذلك سمي بعض عباده بها، وكذلك في باب الصفات.

وليس المسمّى كالمسمّى.

(١) وهذا هو قياس الفقهاء، في الأحكام.

فهو سبحانه العليم، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].
 وهو الرءوف الرحيم، وقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
 وهو السميع البصير، وقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].
 وهو المتكبر الجبار، وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾
 [غافر: ٣٥].

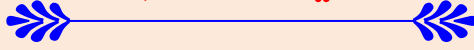
فليس العليم كالعليم، فهو القائل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
 ولا الرءوف الرحيم كالرءوف الرحيم، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
 [الأعراف: ١٥٦] ^(١).

- وعلى هذا، إذا اتفق مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا القدر المشترك
 عند التجرد عن الإضافة إلى الخالق أو المخلوق هو أمر مطلق كلي يوجد في
 الأذهان فقط، ولا يوجد في الأعيان.
 وما وجدته في الأعيان فمختص بمن أضيف إليه فقط، ولا اشترك فيه.



(١) فدل على مغايرة الصفة للصفة وإن اتفق اللفظ.

قياس الشمول



زعم المناطقة أن هذا القياس الطريق الوحيد لحصل العلوم اليقينية النظرية، ولا شك أن هذا من المجازفات العقلية الظاهرة. وقياس الشمول هو:

«قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر». فكما قيل: هو قياس كلي على جزئي، فالمكيّف أو المشبّه جعل الكيفية التي تحكم أوصاف الإنسان قانوناً يحكم به على أوصاف الباري سبحانه.

مثال هذا:

لو كان الله **عَلِيًّا** متصفاً بالكلام؛ للزم من ذلك أن يكون له فم ولسان. **وتعليه:** لأنه لا يُرى متكلم إلا وهو يملك فماً ولساناً. أو لو كان على العرش لكان محمولاً عليه، وهكذا، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وعلى هذا:

لا بد من الاحتراز من استخدام هذين النوعين من القياس في حق مولانا سبحانه وتعالى، فسبيل أهل السنة: نفيهما عنه جل ثنائه، وسبيل المبتدعة: أخذهما والعلم بهما، فمنهم من يقول ما سمعت، فيشبه الخالق بال مخلوق، ومنهم من يتخذهما ذريعة لتعطيل الصفات، وهو كما **قال الرازي رَحِمَهُ اللهُ** **وغفر له**^(١):

(١) وقد نقل شيخ الاسلام في غير موضع من كتبه نهاية أمره بالسعادة والعودة الى طريق أصحاب الحديث .

«ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الأيد، وذكر الساق الواحدة، فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد، وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحدة، ولا نرى في الدنيا شخصاً أقبح صورة من هذه الصورة المتخيَّلة»^(١).

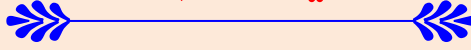
فماذا فعل الرازي؟

الرازي حاول أن يقيس صفات الإنسان - أصل - على صفات الباري - فرع - ؛ ليعلم حقيقة صفات الله تعالى، فلم يفرق بين القدر المشترك، ولم يعِجِ مبحث المشترك اللفظي، ولهذا شبَّه ومثَّل، ثم نفى وأوَّلَ كما هو معلوم عن كل المعطلة، فإن بداية أمرهم تشبيهه ثم تعطيل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**.



(١) أساس التقريب.

قياس الأولى



وهو: «أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل». وهذا هو المستعمل في صفات الباري سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: كل صفة كمال فله تعالى أعلاها.

- فإذا قلنا: العلو صفة كمال في حق المخلوق، فهو كمال في حق الله من باب أولى.

- وعلى هذا، فاستعمال القياس في العلم المتعلق بصفات الله تعالى يكون في اعتبار الغائب من أفعال الله بالمشهور منها، ويكون في اعتبار صفات الخالق بما يُشاهد من صفات المخلوق، إن كان الاعتبار في طرفيه متعلقًا بأفعال الله وصفاته؛ جاز ذلك استعمال قياس الأولى والمساواة.

قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾ [الروم: ١٩].

فقياس النظر على النظر، فألحق المحقق بالمشاهدة، وهو إخراج وإحياء للأرض على البعث الذي هو إخراج وإحياء للموتى، وهو عين ما أنكروه.

مثال لقياس الأولى:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

فجعل ما في المخلوق من قوة وشدة دليلاً بطريق الأولى على قوة الخالق وشدته، ولهذا نقول: تكمن أهمية قياس الأولى في الرد على أهل البدع، فمن الممكن أن نستخدم هذا الأصل في الرد على كثير من أهل البدع والأهواء.

نقول مثلاً:

عندنا أصل عام وهو: **وجوب الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.**

فهذا الأصل قد استدل له بقياس الأولى:

صورته:

في الجنة من المطاعم والمشارب ما يوافق ما في الدنيا من أسماء، ويخالفة حقيقتها الأخروية، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق مع توافق الاسم؛ فالخالق أولى أن يُنَزَّه عن مماثلة المخلوق وإن حصل توافق في ألفاظ الصفات، كما هو الحال في أسماء ما يتنعم به أهل الجنة.

مثال آخر:

صفتا العلم والإرادة:

نقول:

إذا أردنا إثباتهما بقياس الأولى نقول: الفعل المحكم المتقن يدل على علم فاعله وقدرته في الشاهد، فيكون دليلاً عليهما من باب أولى.

هذا تلخيص ما قيل في هذا الباب، أسأل الله التوفيق والسداد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وصلى الله وسلم على الهادي البشير

وعلى آله وصحبه أجمعين وصالح المؤمنين

كتبه

أبو عبيدة

شعبان العودة

الفهرس

- ٥ القياس في باب الأسماء والصفات
- ٧ توحيد الأسماء والصفات
- ٨ قواعد أصول أهل السنة في هذا الباب
- ١٠ قياس التمثيل
- ١٠ الاشتراك في اللفظ
- ١٠ سبب الضلال هو
- ١٠ القدر المشترك
- ١٢ قياس الشمول
- ١٣ فماذا فعل الرازي؟
- ١٤ قياس الأولى
- ١٤ مثال لقياس الأولى
- ١٥ صفتا العلم والإرادة
- ١٦ الفهرس

تم بحمد الله